

التأثير العثماني في الفكر السياسي الأوروبي الحديث - نيقولا ميكيا فيلي أنموذجا -

Ottoman influence in modern European Political Thought - Nicolas Machiavelli as a model -

أمينة مولودة *¹

¹ جامعة يحي فارس - المدينة، aminamouloua23@yahoo.com

تاريخ النشر: 2025/07/10

تاريخ القبول: 2025/06/20

تاريخ الاستلام: 2025/05/28

ملخص:

تُسلط هذه الدراسة الضوء على موقف نيقولا ميكيا فيلي (1469-1527م) من الدولة العثمانية، بالاستناد إلى مجموعة من مؤلفاته، وعلى رأسها كتاب "الأمير"، الذي تناول فيه النظم الإدارية والعسكرية العثمانية، مقدماً نصائح للأمير تدعوه إلى الاقتداء بها. في حين يُلاحظ بأنه عبّر عن للعثمانيين كخطر يستدعي الحذر في مواضع أخرى، وهو ما يكشف مدى التناقض في وجهة نظره، كما هو الحال لدى العديد من المفكرين الأوروبيين في تلك المرحلة.

الكلمات الدالة: الفكر السياسي، أوروبا الغربية، الدولة العثمانية، نيقولا ميكيا فيلي، التنوير.

Abstract:

This study sheds light on the position of Nicholas Machiavelli (1469-1527) from the Ottoman state, based on a set of his writings, especially the book "The Prince", in which he dealt with the Ottoman administrative and military systems, providing advice to the Prince inviting him to emulate them. While he notes that he expressed to the Ottomans as a danger that calls for caution in other places, which reveals the extent of the contradiction in his point of view, as is the case with many European thinkers at that stage.

Keywords: Political Thought, Western Europe, The Ottoman State, Nicholas Machiavelli, The Enlightenment.

المؤلف المرسل : أمينة مولودة، aminamouloua23@yahoo.com

1. مقدمة :

شكّلت فتوحات الدولة العثمانية واتساع مساحتها الجغرافية واقتربها من قلب أوروبا في منتصف القرن 16م، نقطة تحوّل فارقة في طبيعة العلاقات بينها والعالم المحيط بها. لا سيما دول أوروبا الغربية - التي كانت في مرحلة الانتقال من العصور الوسطى إلى الحديثة - فبدأت تنظر إلى العثمانيين بصفتهم قوةً صاعدة لا يمكن تجاهلها، وتهديداً مباشراً لمصالحها وسيادتها؛ حيث تركت الفتوحات العثمانية وخطر غزو روما أثراً ملحوظاً في الوعي الغربي، خاصةً في الجمهوريات الإيطالية. وعليه انتشرت المؤلفات في أوساط المفكرين الأوروبيين الذين تناولوا تاريخ الدولة العثمانية في مختلف جوانبها.

ويُعد نيقولا ميكافيلي أحد أقطاب الفكر السياسي الأوروبي الحديث، الذين أولوا اهتماماً بالعثمانيين في كتاباتهم. وقد تعرف إليهم عن طريق السفراء والمراقبين الإيطاليين الذين توافدوا إلى الأراضي العثمانية وكتبوا عنها في مؤلفاتهم وتقاريرهم المتعددة، لكن الملاحظ أن مواقفه اتجاه الدولة العثمانية تراوحت بين الإعجاب والكرهية، فنجده أحياناً يُشيد بقدرتها بنظامها السياسي المحكم وقوتها العسكرية وتمكنها من فتح أراضٍ شاسعة، وقدرتها على الاحتفاظ بها رغم اختلاف الأديان والإثنيات.

بالمقابل حذّر من التهديد الذي يمكن أن يُشكّله العثمانيون على أوروبا المسيحية، وعليه دعا القوى الأوروبية إلى التوحد ضد التوسع العثماني، وأكّد بأنّ مقاومته يعد واجباً قومياً وحتمياً، وعليه وجب التعاون للدفاع لدرء هذا الخطر. وبشكل عام نجد بأنه بينما اعترف ميكافيلي بقوة وكفاءة الدولة العثمانية، فقد رآها أيضاً تهديداً محتملاً للنظامين السياسي والديني في أوروبا الغربية، وبالتالي دعا إلى وحدتها وتعزيز قوتها العسكرية لمواجهة التهديد العثماني.

بناءً على ما سبق ذكره؛ يهدف هذا الموضوع إلى تحليل رؤية نيقولا ميكافيلي للدولة العثمانية من منظور سياسي، اجتماعي، وعسكري، انطلاقاً من كتاباته المتعددة وأبرزها كتاب الأمير. فمن خلاله نلاحظ مدى التقاطع بين النصائح التي وجهها للأمير ورؤيته للسلطان والدولة العثمانية، ومن خلال هذه المقاربة نكتشف صورة الدولة العثمانية في فكر ميكافيلي.

تسعى إشكالية هذه الدراسة إلى البحث في موقف ميكافيلي من الدولة العثمانية، من خلال التوصيات التي قدّمها للأمير وهي نتاج تجارب متعددة، تشكل جوهر الفكر السياسي الأوروبي الحديث، وتقودنا إلى الاعتراف بأن الدولة العثمانية كانت تُعد القوة العظمى في عصره. ولابد من طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية للإجابة عن الإشكالية الرئيسية: كيف نظر ميكافيلي إلى التقاليد السياسية للدولة العثمانية وتنظيمها العسكري؟ وكيف انعكست هذه الرؤية في تصوره لشخصية الأمير؟ هل كانت مقارنته للدولة العثمانية مجرد إعجاب أم كراهية؟

وتم الاستناد على الفرضيات التالية:

- أنّ التقدم العثماني في أوروبا لفت انتباه المفكرين الذين كانوا في موضع مقارنة بين واقع حالهم، والدولة العثمانية التي كانت تتمتع بنظم السياسية والحضارية متطورة.

- أنّ نيقولا ميكافيلي اعتبر الدولة العثمانية نموذج يجب على الأمير الاقتداء به.

- أنّ نظرة ميكافيلي للدولة العثمانية كانت متناقضة في أحيان كثيرة؛ حيث عبر عن إعجابه بنظامها السياسي وقوتها العسكرية، وفي المقابل نبّه الإيطاليين إلى مخاطرها، حاله كحال العديد من رواد الفكر السياسي الأوروبي الحديث.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة سابقاً، تم اتباع الخطوة التالية: مقدمة خُصّصت للتعريف بالموضوع، أُتبعَت بأربع عناصر، بحيث استهل النقاش بالإشارة إلى "التصور الغربي عن الدولة العثمانية"، ليأتي الحديث عن "السيرة الذاتية لنيقولا ميكافيلي"، ثم التطرق إلى "ملاحم من التأثير العثماني في الرؤى السياسية لميكافيلي"، بعد ذلك تم عرض "الأثر العثماني في تشكيل الرؤية العسكرية لميكافيلي"، وأخيراً خاتمة ضمّت أهم النقاط المستخلصة بعد التطرق إلى مختلف المصادر والمراجع التي عاجلت الموضوع.

2. التصور الغربي عن الدولة العثمانية:

قامت الدولة العثمانية بوصفها إمارة متاخمة على الحدود البيزنطية والسلجوقية، وسرعان ما أخذت تكبر شيئاً فشيئاً، حتى تحولت إلى دولة بمقاييس عالمية، وامتدت أراضيها عبر ثلاث قارات (أوروبا، آسيا، إفريقيا)¹. ومنذ نشأتها أخذت تتوسع على حساب البيزنطيين والامارات التركمانية المجاورة بهدف توسيع دار الإسلام على حساب دار الكفر، وتوالت انتصارات العثمانيين تدريجياً إلى أن تمكنوا من

الحصول على أول موطن قدم لهم في أوروبا الشرقية بعد فتح شبه جزيرة غاليلي عام 1354م، تلا ذلك نصر مبين عندما تم القضاء على الإمبراطورية البيزنطية وفتح القسطنطينية عام 1453م على يد السلطان محمد الفاتح (1451-1481م)، ثم الوصول إلى أسوار فيينا عام 1529م أيام السلطان سليمان القانوني (1520-1566م)²، وقد رافق توسع الدولة وقوتها العسكرية، اقتصاد متين وإدارة دقيقة وثقافة غنية رفيعة³.

ومع دخول العثمانيين أراضي البلقان بدأت ملامح الحضارة العثمانية تظهر في أوروبا الشرقية، فقد لعب العثمانيون دوراً هاماً في نشر الإسلام في مختلف أنحاء الروميلي، وركزوا على حسن الإدارة والتنظيم لضمان السيطرة على الشعوب المسيحية⁴. بينما تمتعت بعض الإيالات مثل الأفلاق والبغدان بحكم ذاتي نسبي، وتم تطبيق لأهداف سياسية واقتصادية، نظراً لأهمية إيالات البلقان في تحصيل الضرائب والجزية وتزويد العاصمة اسطنبول بالمواد الأولية، مما ساعد في تمويل الحروب، وتثبيت الأمن الغذائي والاقتصادي للدولة⁵.

والملاحظ أنّ فتوحات الدولة العثمانية واقتربها من العمق الأوروبي، وتعاظم ثقلها السياسي والحضاري شكّلت بداية لنشوء علاقاتها مع العالم المحيط بها لاسيما الغرب الأوروبي. فمن المعروف أنّ العثمانيين ورثوا موقعاً جغرافياً حدودياً ساعدهم على تقبّل المؤثرات المسيحية من أوروبا الشرقية ثم الغربية خلال القرنين 14 و 15م. وتجدر الإشارة بأن علاقة العثمانيين بالأوروبيين لم تنحصر في الحروب والمعاهدات فقط، بل كانت سياسة مرنة تقوم في أحيان كثيرة على استغلال الظروف وتقنص الفرص للتوسع والاندماج مع أمراء أوروبا⁶، ومن هنا جاءت المصاهرة التي جمعت بين أورخان غازي (1326-1361م) بالأميرة ثيودورا ابنة يوحنا كونتاكوزين السادس الذي استعان بالعثمانيين للظفر بالعرش البيزنطي ضد يوحنا الخامس باليولوغ، بالمقابل أرسل أورخان لكانتاكوزين عشرة آلاف جندي ليكونوا عوناً له⁷.

وفي نفس السياق؛ قام بايزيد الأول (1389-1402م) بالزواج من ابنة لازار ملك الصرب، فنتج عن التحالفات السياسية في عهده عبورٌ لتأثيرات ثقافية لاتينية داخل البلاط العثماني بفعل أمراء الصرب المرتبطين به عائلياً. ومن المعروف أن بايزيد تبني سياسة سُلالية تتجاوز التقاليد الإسلامية؛ إذ سعى لشرعنة حكمه على شعوب مسيحية متعددة كالليونان، الصرب والبلغار⁸، كما قام بتوجيه قواته ضد

الامارات التركمانية في الأناضول. وفي سنة 1394م أرسل إلى الخليفة العباسي المقيم في القاهرة المملوكية طلباً بتعيينه سلطان الروم، وبعد ذلك لم يعد مجرد أمير للثغور بل حاكماً لدولة إسلامية، وورثاً لأبجد سلاطين قونية السلاجقة، كما ادعى حق وراثته الأباطرة المسيحيين الذين حكموا بلاد الأناضول في السابق، ولعلَّ سعيه للدمج بين العالمين الإسلامي والمسيحي أثار معارضة من الفقهاء ومجاهدي الثغور التركمان⁹.

زيادة على ذلك؛ بلغت الرؤية العالمية للدولة العثمانية ذروتها في عهد محمد الفاتح، فرغم تقديم نفسه كغازي وبطل إسلامي، إلا أنه سعى لفهم عقلية الغرب والتماشي مع قيم النهضة الأوروبية، فنجدته تأثر بالإسكندر الأكبر وقرأ كتب المؤرخين الإغريق واللاتين واستعان بالمتقنين الإيطاليين، حتى أنه سمح برسم صورته على يد الرسام الإيطالي جنتيلي بيليني Gentile Bellini (1429-1507م) وهو ما مثّل تجاوزاً صريحاً لتعاليم الشريعة في الفهم العثماني. بالمقابل أثار انفتاح العثمانيين على الفنون والمعارف الغربية إعجاب الأوروبيين؛ حيث أشار السفير النمساوي أوجير غيسلين دي بوسبيك Ogier Ghiselin de Busbecq (1522-1592م) إلى مرونة العثمانيين ومهارتهم في تبني الابتكارات الأجنبية خاصة في المجال العسكري¹⁰. وتشير المصادر التاريخية إلى أنَّ علاقات الدولة العثمانية الرسمية مع أوروبا بدأت في عهد بايزيد الثاني (1481-1512م)¹¹، فقد أصبح العثمانيون يشاركون في فعاليات السياسة الأوروبية. وأثناء الحروب المندلعة في إيطاليا طلبت الجمهوريات الإيطالية كميلانو ونابولي دعم السلاطين ضد تحالف فرنسا والبندقية¹².

وبمرور الزمن أخذ الدور العثماني يتعاظم في الصراعات الأوروبية، وهذا ما نلاحظه جلياً في عهد السلطان سليمان القانوني الذي يعد من أكثر سلاطين آل عثمان حضوراً في الفكر والأدب الأوروبي، فعُرف بلقب سليمان العظيم *suleiman the magnificent* ووُصف عهده بمجد الدولة العثمانية، ووصفه السفير دي بوسبيك بما يلي: "...إذا ما سألتني ما هي صفات سليمان كرجل، فأقول: أنه كرجال الفهود القديمة، تقاطيع وجهه وهيكله يحملان طابع العظمة، يليقُ بالعظمة السياسية التي تمتع بها..."¹³. فعلى أيامه أصبحت الدولة العثمانية قوة عظمى تربط بين أوروبا المسيحية والشرق الإسلامي، ما زاد اهتمام الأوروبيين بها من جهة وقلقهم من وصولها إلى روما من جهة أخرى¹⁴.

ولا ننسى الدور السياسي البارز الذي لعبه القانوني في أوروبا الغربية، كتحالفه مع الملك فرانسوا الأول François Ier (1494-1547م)، وحملته على البحر وحصار فيينا عام 1529م، وهي أحداثٌ ساعدت في انتشار البروتستانتية عبر إضعاف الكاثوليك من آل هابسبورغ. فقد أظهرت الدراسات الحديثة أنَّ الضغط العثماني خلال 1521-1555م أرغم آل هابسبورغ في النمسا على تقديم بعض التنازلات للبروتستانت مما كان له أثر مهم في الاعتراف بالحركة البروتستانتية¹⁵، لأن السلطان سليمان القانوني لمَّحْ بأنه يعتبر البروتستانت قريين من المسلمين، بعد أن تخلوا عن الأوثان وتمردوا على البابا، وهكذا أصبحت حماية اللوثرين والكالفينيين ومساعدتهم ضد الكاثوليك حجر الزاوية للسياسة العثمانية في أوروبا الغربية¹⁶.

كما ساهمت الامتيازات التجارية التي منحتها الدولة العثمانية في تعزيز التبادل الثقافي والتجاري بينها والدول الأوروبية كفرنسا وإنجلترا وهولندا والبنديقية، فتبادلت الأطراف السلع واشترى العثمانيون الأسلحة من أوروبا، بينما صَدَّروا منتجاتهم الفنية مثل السجاد والخزف والأقمشة والورق الملوّن وتجليد الكتب وغيرها من البضائع والخدمات التي لاقت رواجًا واسعًا في أوروبا، وقد أدى هذا التأثير إلى ظهور ورش أوروبية تقلد السجاد والخزف العثماني، كما نُسخ خزف إزنيق في مراكز إيطالية، والملاحظ أنَّ الأدبيات الأوروبية عن الدولة العثمانية كانت غالبًا من إنتاج جنود وأسرى ورحالة ودبلوماسيين الذين عاشوا في أراضيها وأعجبوا بنظامها الإداري وحياتها الاجتماعية¹⁷.

وقد نتج عن هذا التفاعل الثقافي والسياسي مقاربتين في الفكر والأدب الأوروبي، فنجد مقارنة سلبية تجلّت في كتب ومنشورات دعائية تعكس الخوف من القوة العثمانية خاصةً في الدول الجرمانية؛ حيث صُوِّر الأتراك العثمانيون بشكل سلبي. وأخرى موضوعية تضمّنت كتبًا وأعمالاً فنية يمكن اعتبارها مصادر مهمة لتوثيق الثقافة والحياة اليومية العثمانية، أنجزها دبلوماسيون، رحالة وفنانون زاروا إسطنبول وباقي الإيالات¹⁸. وجذبت اهتمام رواد الفكر السياسي الذين رأوا في الدولة العثمانية نموذجًا يستحق البحث، وحسب بعض الدراسات فاقت المنشورات الأوروبية المتعلقة بالعالم العثماني في القرن 16م عدد من تطرقت إلى العالم الجديد، وغطّت مواضيع عدة مثل نظام الحكم العثماني، سلاطينهم وعلاقاتهم الدولية¹⁹.

ومن المتعارف عليه أنّ الإيطاليين هم أول من نقل إلى أوروبا المسيحية الانطباعات الأولى عن العثمانيين، فدوّن الرحالة والمبعوثون وبعض التجار جوانب من الحياة السياسية والثقافية العثمانية. وعليه يتضح بأنّ الصورة النمطية التي شكّلها الأوروبيون عن العالم الإسلامي - الممثل في الدولة العثمانية آنذاك - مستقاة من كتابات الإيطاليين²⁰. وفي هذا الصدد جمعت المؤرخة الفرنسية لوسيت فالنسي Lucette Valensi تقارير لـ 62 دبلوماسي من البندقية بين 1503 و1570م، وكشفت أنّ مواقفهم تجاه العثمانيين كانت متناقضة تراوحت بين الخوف والإعجاب؛ إذ لم يُخفِ الكثيرون منهم إعجابهم بقوة السلاطين وفعالية النظام المالي والعسكري العثماني، وكذلك غياب الأرستقراطية الوراثية. وغالباً استندت كتاباتهم إلى الملاحظة المباشرة أكثر من التحيز فنتج عن ذلك صورة مفصّلة لدولة واسعة ومنظمة تثير اهتمام الأوروبيين وتشبه - في نظرهم - الإمبراطورية الرومانية في قوتها وهيبتها²¹، وبذلك أثّنوا على فضائل دولة إسلامية تتمتع بنمط حياة مختلف تماماً عما كانت تعيشه أوروبا الغربية في العصور الوسطى²².

بيد أنّ انتصارات الدولة العثمانية المتتالية أنتجت تصوراً مضللاً عنها في المجتمعات الأوروبية قائم على الخوف والكراهية²³، ساهمت في تشكيله سياسات البابوية وملوك تلك الفترة، كما أثّرت الصورة النمطية والتحيزات الناتجة عن الحملات المغرضة على أسلوب التفكير السائد حول العثمانيين، فنجد أن العديد من المصادر الأوروبية وصفتهم بالهمجيين، القساة، الأشرار أو سوط الله. كما لعبت الخطابات الدعائية التي تميل إلى المبالغة مثل: القصائد، الأغاني، النقوش والكتيبات دوراً لا يستهان به في خلق تصور عن العثمانيين، بهدف إثارة التخويف والازدراء وتعبئة الناس ضدهم، كما ظهر في كتابات مارتن لوثر Martin Luther (1483-1546م) الذي استخدم الخوف لإقناع الناس بأن الأتراك العثمانيين عقاب أنزله الله على عباده، بسبب فساد المسيحية تحت الكنيسة الكاثوليكية²⁴، ومنذ بداية القرن 17م تحولت النظرة الأوروبية - خاصة الإيطالية - نحو العثمانيين من الإعجاب إلى الكراهية، واستمر ذلك حتى القرن 20م في الفكر السياسي الأوروبي²⁵.

3. السيرة الذاتية لنيقولا ميكافيلي (1469-1527م):

حقّق نيكولا ميكافيلي شهرةً واسعة في عالم الفكر السياسي والاجتماعي الحديث، ولا تزال آراؤه متداولة إلى يومنا هذا وهي تُعرف بالميكافيلية. وُلد في فلورنسا في 03 ماي 1469م، وكان والده من

طبقة النبلاء²⁶، ما منحه فرصة لتلقي العلوم السائد في ذلك العصر، فتعلم اللغة اللاتينية ودرس التاريخ والآثار الرومانية واليونانية، وتميّز بين أقرانه بالذكاء وقوة الملاحظة²⁷.

وبفضل التعليم الرسمي الذي تلقاه، وذكائه وسمعة عائلته، عُرض على ميكافيلي منصب سكرتير عام لمدينة فلورنسا سنة 1498م²⁸، وكان عضواً في مجلس الدولة المكون من عشرة أعضاء ويخطط لسياسة فلورنسا الخارجية²⁹، الأمر الذي مهّد له طريق المشاركة في عدد من البعثات الدبلوماسية الرسمية إلى إيطاليا وفرنسا وألمانيا في الفترة 1494-1512م، فاستفاد من تلك الجولات التي أوقفته على الكثير من خفايا الدول، كما لمس عن قرب أخلاق رجال السياسة وأساليبهم³⁰، وأدرك مواطن القوة والتقدم، وخصوصاً التماسك السياسي، ورأى ذلك بنوع خاص في فرنسا، الأمر الذي دفعه للمقارنة بينها وإيطاليا التي كانت مفككة سياسياً وضعيفة عسكرياً³¹، ولما كان الوضع في فلورنسا مليئاً بالتشردم والفوضى واللامبالاة، شعر ميكافيلي بأنّ هذه الدولة الضعيفة لا تملك دبلوماسية ناجحة، ووقف على حقيقة أنّ فرنسا قوية وإيطاليا مفككة³².

بالإضافة إلى ذلك؛ تعرّضت فلورنسا في أيامه لهزات عنيفة أطاحت لمدة بأسرة آل ميديشي، لتتمكن هذه الأخيرة في سنة 1512م من استعادة حكمها، لكن وُجهت أصابع الاتهام إلى ميكافيلي بالتآمر على الأسرة فتم اعتقاله، وفي سنة 1513م أُفْرِج عنه بفضل تدخل البابا ليو العاشر Leo X (1475-1521م) فاختار حياة العزلة في ريف سان كاشيانو³³، ومكّنه الهدوء من الغوص في عالم الكتابة والفكر رغم الوضع المزري الذي آل إليه، فكان يعمل في النهار كمزارع بينما في المساء يتخيل المعابد ويلتقي بالعظماء مستكشفاً طرقاً لحكم البلاد ترجمها في كتابه الأمير³⁴. كما كلفه البابا ليو العاشر ببعض المهام السياسية، وحين سقطت أسرة آل ميديشي مرة ثانية سنة 1527م، لم يستفد من التغيير السياسي الذي طرأ على فلورنسا؛ حيث اعتبر من أنصار الأسرة فأسيت معاملته، واستمر على ذلك الحال البائس إلى أن مات في فلورنسا بتاريخ 23 جويلية 1527م³⁵.

ورغم أنّ ميكافيلي عاش حياةً مأساوية وعميقة، إلا أنه خلف العديد من الآثار في الفكر السياسي وأدب شؤون الحكم والحرب، أهمها عمله الكلاسيكي الخالد الأمير The Prince الذي

أعدّه عام 1513م وصدر بعد خمس سنوات من وفاته أيّ سنة 1532م، وكتاب فن الحرب The Art of War 1521م الذي يعتبر أول تحفة عسكرية حديثة؛ حيث تناول بإسهاب العلاقة بين النظم العسكرية والسياسة في شكل حوار، ووجه الناس لمقاومة العدوان عبر التكتيكات العسكرية التي كانت أفضل من القتال في ساحة المعركة. فضلاً عن ذلك برع ميكافيلي في كتابة المسرحيات، وأشهرها مسرحية الماندراغولا The Mandrake سنة 1524م التي تمجد حكمة الناس ومحبتهم، وتنتقد نفاق الكنيسة الكاثوليكية وفسادها، ويعد هذا العمل انعكاساً لموقفه اتجاه الأخلاق والكنيسة³⁶.

4. ملامح من التأثير العثماني في الرؤى السياسية لميكافيلي:

حظيت الدولة العثمانية بمكانة مميزة في الفكر السياسي الحديث، الأمر الذي انعكس بوضوح في كتابات مفكري عصر النهضة الأوروبية والتنوير. وفي طليعة هؤلاء نجد نيقولا ميكافيلي الذي أبدى اهتماماً واضحاً بالعالم العثماني، وكان قد تعرف إليه عن طريق الروايات الشفهية وتقارير دبلوماسيين من فينيسيا أقاموا في العاصمة إسطنبول، وغالباً أبرزت نقاط قوة الدولة العثمانية، وعكست مدى إعجابهم بما وصفوه الأتراك العظماء³⁷.

وعليه حاول ميكافيلي الكشف عن سر تفوق العثمانيين السياسي والعسكري، وضمن أفكاره بشكل صريح في كتابه الأمير، الذي وجه من خلاله مجموعة من النصائح إلى الأمير لورينزو الثاني ابن بييرو دي ميديشي Lorenzo di Piero de' Medici (1492-1519م) بهدف تثقيفه في شؤون الحكم من جهة، وأمثلاً في أن تُنعم عليه الأسرة بمنصب جديد فيعود إلى حياة الخدمة العامة من جهة أخرى³⁸. وحاول أن يبين ما ينبغي أن يكون عليه مسلك الأمير إزاء رعيته وأصدقائه وأعدائه من الداخل والخارج، وتكون وسيلة لإقامة دولة إيطالية وتخليصها من شرور الأعداء المحيطين بها والمتنازعين عليها³⁹.

زيادة على ذلك؛ يرى البعض أن ميكافيلي من أنصار الاستبداد والحكم المطلق، لكن في أوقات معينة كنشأة الدولة وأثناء الفوضى السياسية، اعتقاداً منه بأن السلطة المطلقة وحدها من تستطيع القضاء على الفوضى الداخلية والخروج من وضع الانفلات والاضطراب إلى السلم والاستقرار، بشرط أن تطبق الحكومة نظام الحكم الجمهوري، لأنّ الحكومة الديمقراطية التي تشترك في إدارتها عناصر مختلفة تكون قادرة

على تحقيق التوازن السياسي والاجتماعي، كما أنّ تقارب الآراء واشتراك العقلية المختلفة في الدولة كفيلاً بمنحها حياةً مستقرة، وهذا النوع من الحكم يعطي الفرصة في التغيير والتطور⁴⁰. وفي نفس السياق؛ أوصى ميكافيلي الأمير بأن يتقن قواعد الاستبداد كأداة للحكم، باعتباره منشئ الدولة وواضع نظمها وقوانينها، فالسلطة المطلقة ضرورية وبفضلها يمكنه التغلب على المصاعب التي تواجه الدولة. وفي هذا المقام يضرب المثال بالدولة العثمانية، وغالباً ربط المراقبون الغربيون سلاطين آل عثمان بالاستبداد ووجود نظام سياسي يعتبر فيه الرعايا عبيداً للعاهل، فهو سيد حياتهم وممتلكاتهم⁴¹، ويذكر ميكافيلي بأن الدولة مرتبطة بإرادة السلطان وحده، وباقي أطراف المجتمع بما فيهم النخبة عبيده يدينون له بالطاعة المطلقة والولاء الغير مشروط، فكان لديه صلاحية مطلقة بتغيير أيّ موظف يعمل تحت إمرته، الأمر الذي حالّ دون أن تتمكن أيّ دولة أجنبية من مهاجمة العثمانيين لأنها لن تجد من يتواطأ معها في الداخل⁴².

بناءً على ذلك؛ لا يتوانى ميكافيلي عن نصّح الأمير أنّ يكون إنسانياً وطاغية في آن واحد، وإذا لم يكن كذلك فلا بقاء له⁴³، وهو ما صرح به حين قال: "...فالملكة التركية يحكمها حاكم واحد، والباقيون هم خدامه، وهو قد قسم المملكة إلى سنجقيات يُرسل إليها العديد من الإداريين ويغيرهم أو يستدعيهم حسب هواه، وبذلك من الصعب جداً الاستيلاء على الدولة التركية..."⁴⁴. ويؤيده في ذلك السفير دي بوسبيك الذي عبّر عن إعجابه بالدولة العثمانية بسبب قوتها العسكرية والحكم المطلق للسلطان سليمان القانوني، الذي يحظى بالاحترام والتقدير فهو يُعد نموذج لم يتمكن أباطرة آل هابسبورغ من تقليده⁴⁵.

وبالمنحى نفسه، اعتبر ميكافيلي الدولة العثمانية مثال يُحتذى به، فيما يتعلق بإدارة الممالك المتعددة، مشيراً إلى نوعين من الحكم الملكي الأول هو نظام العبودية الذي يتمتع فيه الملك بسلطة اختيار وإقالة ورفع الأفراد، والثاني نظام تعددية السلطة بحيث توجد نخبة أرستقراطية ذات مكانة خاصة بجانب الملك، وهو ما يعكس نموذج النظام الملكي الفرنسي⁴⁶. وفي هذا الصدد يقول: "...إنّ أسباب صُعوبة احتلال المملكة التركية، هي أنّ الغازي لن يجد ترحيباً من الأمراء الموجودين بالمملكة، ولا يأمل في أنّ

تُساعده في حملته حركات تمرد، بزعامة هؤلاء الذين كانوا مقربين من الملك، فمن الصعب إفساد هؤلاء القوم لأنهم جميعاً عبيد للسلطان، وأتباع له وحتى لو تمكنا من إفسادهم فلن نستفيد من ذلك كثيراً لأنهم لن يستطيعوا صم الشعب إليهم للأسباب السابق ذكرها...⁴⁷. وبذلك نجده عقد المقارنة بين النظام العثماني والنظام الملكي الفرنسي، اعتقاداً منه بأن سيطرة السلطان على الأراضي تتم بفضل حسن تنظيمه وإدارته الجيدة، بحيث يقوم بإرسال وزراء وولاة حسب احتياجاته الخاصة ويمنحهم السلطة المطلقة في مناطقهم، بينما نجد في فرنسا أنّ الملك محاط بالعديد من النبلاء الذين يتمتعون بمزايا وحصانات، يصعب عليه أخذها منهم دون تعريض نفسه للخطر⁴⁸.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره؛ لاحظ ميكافيلي كثرة الثوار في مملكتي فرنسا وإسبانيا بسبب وجود عدد كبير من البارونات الذين يملكون حقوقاً وراثية تمكنهم من نقل الحكم من الوالد إلى الابن، وهذا الأمر لا وجود له في الدولة العثمانية⁴⁹، لأنها تعتمد على نتاج الدفشمرة⁵⁰، الذين عدّهم ميكافيلي جزءاً أساسياً من النخبة العسكرية والأكثر قرباً إلى السلطان⁵¹. وفي ذلك يقول: "... ومن ينظر في حال الإماراتين ير لأول وهلة أنّ فتح دولة كدولة الأتراك يكاد يكون مستحيلاً. ولكنها إذا فتحت استسلمت للفتح في زمن قريب، أما صعوبة افتتاحها فلأنها خالية من الأمراء الناقمين على الملك، الذين يدعون الفاتحين نكابة في المتفرد بالإمارة، وكذلك لا يستطيع الفاتح أن يثّ روح الثورة في مثل تلك الدولة لأنّ أعوان الملك وخدمه إذا أخلصوا له قلّ أنّ يقبلوا غيره سيداً عليهم فلا يرتشون، وإذا تمكّن دخيل من إفساده ذهب عناؤه هباءً لأنه ليس هؤلاء الأعوان سلطاناً على الشعب كما تقدم، ولذا فالعاقل من اعتمد في قهر دولة كدولة الأتراك على عدده ليمكن من مقاومة قوة عدوه، أما إذا عوّل على فشل خصمه فعاقبه عقابه..."⁵².

فضلاً عن ذلك؛ شرح ميكافيلي طريقة السيطرة على دولة محتلة. فناقش مسألة تمكن العثمانيين من الحفاظ على إيلات البلقان رغم أنّها فسيفساء ذات لغات وتاريخ وعادات وديانات مختلفة⁵³. وذلك عن طريق اتباع سياسة السركنة التي تقوم على التهجير الإجباري للقبائل التركمانية إلى الأراضي المفتوحة في الروميلي⁵⁴. وبذلك ضمنت الدولة بسط نفوذها هناك، وينصح الأمير بضرورة حسن معاملة الرعية كي لا تنور عليه، وألاً يغير القوانين المحلية ويقرّ العدل ويضمّن حياة الأفراد والممتلكات، وبالتالي تُصبح أراضيهم

جزءاً من دولته طواعيةً وهذا سر نجاح العثمانيين⁵⁵. وفي هذا المقام يقول: "...ومن يُسيطر على أراض جديدة ويريد أن يحتفظ بها لا بد أن يضع في اعتباره أمرين، أولهما القضاء على الأسرة الحاكمة السابقة قضاءً مبرماً، وثانيهما عدم تغيير قوانين أو ضرائب خاصة بهذه البلاد. وبهذه الطريقة تُصبح جزءاً من الاتحاد في وقت قصير جداً وتُصبح الدولة كياناً واحداً، ولكن عندما يكون شعب الأراضي المنضمة حديثاً يتحدث لغة مختلفة وقوانينه وعاداته مختلفة، فإن الصعوبات التي يجب التغلب عليها تُصبح أكثر وتتطلب حظاً وفيراً وحنكة للتغلب عليها، وإحدى الطرق وأكثرها تأثيراً هي أن يُقيم الحاكم الجديد في تلك الأراضي، وهذا سيجعل ملكيته لها أكثر أمناً واستمراراً وهذا هو ما فعله الأتراك في بلاد الاغريق..."⁵⁶.

وكل ما تطرق إليه ميكيا فيلي يوضح السياسة التي اتبعها العثمانيون مع الأراضي المفتوحة، ويوضح سر محافظتهم على البلقان وجعلها جزءاً من دولتهم، فهم أحضروا منذ البداية مواطنين من القبائل التركمانية وجعلوهم يستقروا في مناطق استراتيجية، وطبقوا سياسة التسامح الديني وضمنوا حياة وأموال السكان المحليين ووفوا بوعودهم، وبهذا الشكل أثبتوا حسن نواياهم للمسيحيين، وكان بإمكانهم الشكوى المباشرة للسلطة الحاكمة في حال ظلمهم المسؤولون، وتتم معاقبتهم مباشرة ودون أي تأخير، وبذلك يتضح أن ميكيا فيلي امتلك معلومات كثيرة عن سياسة العثمانيين في دولتهم⁵⁷.

5. الأثر العثماني في تشكيل الرؤية العسكرية لميكيا فيلي:

تشير العديد من الدراسات بأن نيقولا ميكيا فيلي عبر عن إعجابه بالقوة العسكرية والانضباط العثماني، والملاحظ أنه كتب أبرز أعماله وأكثرها تأثيراً عندما كانت الدولة العثمانية في أوج قوتها وازدهارها الحضاري، وبذلك يظهر أنه كان يسعى لتقصي سر قوة الدولة التي أصبحت تهدد العالم الغربي خصوصاً إيطاليا⁵⁸. ومن بين الأمور التي أثارت إعجابه هو قيام السلاطين بقيادة الحملات العسكرية بأنفسهم، كما فعل أباطرة الرومان في السابق. لذا نصح الأمير بأن يقتدي بالعثمانيين ويشترك شخصياً في المعارك لضمان الانتصار وتعزيز قدرته العسكرية ومكانته أمام الجنود⁵⁹. كما أشاد بالسلطان محمد الفاتح لأنه تمكن من هزيمة الإمبراطورية البيزنطية، وترك لابنه بايزيد الثاني مملكة مستقرة، ولاحظ أن السلطان سليم الأول

(1512-1520م) كان أقوى من أبيه، بحيث سار على خطى جده في تحقيق الأجداد - والمجد مصطلح إيجابي للغاية في قاموس ميكافيلي⁶⁰ - وتمكّن من ضم بلاد الشام ومصر والحجاز والإطاحة بالمماليك سنة 1517م⁶¹.

وفي نفس السياق؛ أكد ميكافيلي بأنّ الخدمة العسكرية هي المهنة الوحيدة للأمير، وبخلاف الحرب والنظام العسكري والتدريب، يجب ألا يكون له مهنة أو أهداف أخرى، لأنّ إدارة الشؤون العسكرية تحافظ على مكانة الأمراء والملوك وتساعد الأشخاص الذين يريدون اعتلاء العرش، ويمكن القول بأنّ السبب الرئيسي لوفاة الملك هو تجاهله للشؤون العسكرية، فالناس المسلحون يحتقرون ويفضون طاعة الأشخاص غير المسلحين، وغير المسلحين يشكّون في المسلحين، ولا يمكن للجنود احترام الملك، وبدوره لا يمكنه الوثوق بهم، وبناءً على ذلك لا يستطيعون العيش مع بعض بسلام واحترام، وهذا ما جعله يثني على سلاطين آل عثمان بقوله: "...سلطان الترك يحيط نفسه دائماً بعدد هائل من الجنود والمشاة يربو عن الثلاثين ألفاً من الرجال الحراس، وعليهم ترتكز دعائم دولته وأمنها وقوتها..."⁶².

وهو في ذلك يتفق مع الفيلسوف الفرنسي جان بودان (Jean Bodin 1530-1596م)، الذي ذكر بأنّ من الأسباب التي دفعته إلى الاهتمام بالدولة العثمانية قوتها العسكرية، فأشار في مواضع عدة إلى أنّ الأتراك العثمانيين شعبٌ محارب بالفطرة، ليذهب إلى أبعد من ذلك حين اعتبر أنّ الانضباط العسكري العثماني يُضاهي نظام روما القديمة⁶³. وذكر في كتابه Les six livres de la République الكتب الستة للجمهورية ما يلي: "...ولكي يُمكن الحفاظ على هذا الانضباط، كما هو الحال في جيش الأتراك إلى يومنا هذا. من الضروري أنّ يُكافأ القادة والجنود الصالحون، سواء كانوا مسنين أو غير ذلك، ببعض الإعفاءات، والامتيازات، والحصانات، والمكافآت. وحتى لو تم تخصيص ثلث ميزانية الدولة لدفع أجور القوات المسلحة، فلن يكون ذلك مفرطاً، لضمان وجود رجال جاهزين للدفاع عن الدولة عند الحاجة..."⁶⁴.

بالإضافة إلى ذلك؛ يرى ميكافيلي أنّ من واجبات الأمير الخضوع لتدريب عسكري محكم، ليكون في أهبة الاستعداد عندما تُقرع طبول الحرب، من خلال القيام ببعض النشاطات المكثفة، مثل: الصيد، ممارسة التمارين البدنية، بناء عادات قاسية، فهم طبيعة التضاريس الجبلية والأنهار لحماية الوطن، كما

وجبّ عليه اغتنام فرصة السلم للتفكير بشكل أكبر في طرق الحرب حتى يكون قادراً على التعامل مع أيّ أحداث غير متوقعة، ومن الضروري دراسة سير العظماء في التاريخ والتعرف إلى أسرار نجاحهم في الحروب، وعليه ينبغي على الأمير الحكيم أن يتعلم كيفية استغلال الوقت الثمين في أوقات السلم بشكل جيد، والتركيز على الشؤون العسكرية من أجل الاستعداد للرد في الأوقات الصعبة⁶⁵.

وهذا ما جعله يفسّر سبب تفوق الدولة العثمانية عسكرياً بقوله: "... أن النصر على العثمانيين الأتراك ليس أمراً هيناً ومن الصعب الاحتفاظ به؛ إذ إن المحتل لا يمكن يدعى من أمراء تلك المملكة للقيام بمثل هذا العمل، كما لا يقدر من أن يسهل مغامرته عن طريق ثورة يعلنها أولئك القريبين من الشخص الحاكم، ولهذا فإن على كل من يُهاجم السلطان التركي أن يعتمد على قوته لا على الاضطرابات في صفوف العدو؛ إذ أنه سيواجه جيشاً متحداً، ولكنه إذا تمكن من الانتصار عليه وهزمه في ميدان القتال هزيمة تقعه عن إمكانية حشد جيوش جديدة فلا يبقى أمام المحتل ما يخشاه إلا أفراد أسرة الأمير التركي، وإذا ما قام بالقضاء عليها وإبادتها، لم يعد هناك ما يخشاه؛ إذ إن الآخرين لا يتمتعون بأية مكانة عند الشعب..."⁶⁶.

زيادة على ذلك؛ نبّه ميكافيلي إلى أن المملكة التي تفتقر إلى قوات عسكرية ممتازة لا يمكن أن تتمتع بانضباط جيد، ولكي يكون الجيش جيداً وجب أن يكون في المملكة قوانين جيدة، والقوة العسكرية تلعب دوراً مهماً في الحفاظ على هيمنة الأمراء والملوك، وتمكن من إحداث تغييرات عميقة في السلم الاجتماعي، فالجيش هو عمود الوحدة الوطنية، ومن واجب الأمير أن يولي اهتماماً ببناء الجيش من أجل تعزيز حكمه، ويركز على أنواع وخصائص الجيش⁶⁷، ويؤكد بأنه لتشكيل جيش قوي لا بد من اختيار الرجال المناسبين لذلك الغرض. وقد أطلق القدماء على هذه العملية مصطلح الانتقاء، ولكنه يُسميها بالتجنيد العسكري عن طريق اختيار أفضل الرجال في الإقليم أو المنطقة متضمناً القدرة على اختيار كل المستعدين للمشاركة في الحروب⁶⁸. وحسب ميكافيلي يتألف الجيش العثماني من جنود يخدمون مباشرة تحت إمرة السلطان وهم الإنكشارية، الفرسان والسباهية، ومُعظمهم لا يورثون ألقابهم ومناصبهم إلى أبنائهم

لأنهم عبید السلطان، ولا يملكون حقوقاً على الأرض، وقد جند المساعدون من التابعين والفلاحين (مشاة اليايا، والعزب البدو وغيرهم) وكانوا مستعدين للذهاب إلى المعارك تحت إمرة قائد يعينه السلطان بنفسه⁶⁹. بالإضافة إلى ما سبق ذكره؛ صنّف ميكافيلي أنواع الجيوش إلى قوات المرتزقة، القوات المختلطة، قوات العون والجيوش الوطني، وأوضح ضرر استخدام المرتزقة وقوات العون لأنهم لا يقاتلون بحماس، ولا يدافعون عن مصلحة الأمير والدولة، فهم يحاربون من أجل الطعام والمال فقط، وهذا ما يؤدي إلى انهيار الجيوش وخراب البلاد، وحتى رجال الدين لا يمكنهم أن يجعلوا الناس ملزمين باتباع تعاليمهم الخاصة، وبالتالي وجبّ على الأمير أن يؤسس نظاماً عسكرياً منتظماً وجيشاً مخلصاً له فقط، لكي يظهر القيادة في اللحظات الحاسمة لإنهاء النزاع وتحقيق النظام⁷⁰. لذلك يلاحظ أنه عندما كان مسؤولاً في فلورنسا أنشأ مجموعة من القادة والجنود الوطنيين وعنى بانتقائهم وتدريبهم، كما حرص على رعاية الفرسان والمشاة، لكنه لم يُقدّر أهمية الأسلحة النارية التي ظهرت في عصره⁷¹، ومع ذلك أكد ميكافيلي أن الجيش القومي وحده هو الذي يستطيع أن يوفر الأمن والرخاء للبلاد⁷².

ورغم كل ما قيل عن آراء ميكافيلي الإيجابية اتجاه الدولة العثمانية، إلا أنه أعرب في العديد من المخططات عن خوفه منها، بحيث تشير بعض الدراسات إلى أنه استخدم تعبيرات متشائمة تتوافق مع المخاوف الأوروبية السائدة في أيامه، بقوله: "...اللهم احفظنا من هذه الوحوش الشيطانية، أنا أخاف بشدة من أن يهاجم الأتراك إيطاليا مرة أخرى...". كما عبّر عن أسفه لتقدم العثمانيين وعدّ ذلك إهانة للعالم المسيحي. وبذلك يمكن القول بأنّ ميكافيلي كان يرى في الدولة العثمانية تهديداً ليس فقط لإيطاليا بل للعالم المسيحي أجمع خاصة بعد فتح القسطنطينية، ويُرجح بأنه كان في حالة نفسية متناقضة اتجاه العثمانيين، تتراوح بين الإعجاب والكراهية⁷³.

6. الخاتمة:

وكختام لهذا الموضوع يمكن القول بأنّ الدولة العثمانية حظيت بمكانة بارزة في الفكر السياسي الأوروبي الحديث، ليس فقط باعتبارها قوة عسكرية وسياسية كبرى أخضعت إلى سيطرتها مناطق عديدة من أوروبا، بل أيضاً بوصفها نموذجاً سياسياً وإدارياً أثار اهتمام المفكرين الأوروبيين منذ عصر النهضة. فقد ساهم حضورها القوي والمستمر في الساحة الأوروبية في دفع العديد من المفكرين إلى إعادة النظر في مسائل السيادة، السلطة، والتنظيم المركزي، كما أثار نظام الحكم العثماني

القائم على مركزية السلطان وفعالية الجهاز الإداري والقوة العسكرية والاقتصاد المتين، الكثير من النقاشات والجدل حول مفهوم الاستبداد، الدولة الحديثة وغيرها من المفاهيم السياسية.

وتجلى هذا التأثير بصفة خاصة في فكر نيقولا ميكيا فيلي، الذي كانت لديه نظرة معقدة تجاه الدولة العثمانية، جمعت بين الإعجاب والقلق، فنجده يُشير إلى النموذج العثماني كمثل على الدولة الموحدة والقادرة على حفظ الاستقرار الداخلي والأمن الخارجي، بفضل قوة السلاطين والنظام الإداري، فضلاً عن الانضباط العسكري العثماني، بشكل يختلف عن واقع الغرب المسيحي الذي كان في مرحلة الانتقال من العصور الوسطى إلى الحديثة، وفي الوقت ذاته عبّر عن قلقه بشأن التهديد المحتمل الذي يمثله العثمانيون على أوروبا الغربية، خاصة في ظل طموحاتهم التوسعية.

ويمكن القول بأن رؤية ميكيا فيلي للدولة العثمانية تأثرت بالسياق الجيوسياسي لعصره؛ إذ كان يُنظر إلى العثمانيين باعتبارهم منافساً ونموذجاً في آنٍ واحد لفنون الحكم الفعالة، فقد رأى بأن أمراء أوروبا يمكنهم الاستفادة من الممارسات الإدارية والاستراتيجيات العسكرية العثمانية، مع ضرورة التوحد ضدهم لحماية العالم المسيحي. ومجمل القول أنّ آراء ميكيا فيلي تعكس تحليلاً براغماتياً لديناميكيات السلطة، مشدداً على أهمية القوة والإدارة الاستراتيجية، وبذلك نجد بأن الدولة العثمانية لم تكن فقط خصماً عسكرياً لأوروبا، بل مكوناً أساسياً في تشكّل الفكر السياسي الحديث فيها.

7. الهوامش:

¹ - لطفي باشا، تواريخ آل عثمان الوقائع التاريخية للدولة العثمانية حتى عام 961هـ / 1553م، تر: محمد عبد العاطي محمد، ط01، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 1440هـ / 2018م، ص11.

² - الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916، ط02، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2011م، ص 17.

³ - برنارد لويس، إسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، تع: سيد رضوان علي، ط02، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، 1402هـ / 1982م، ص 56.

⁴ - الروميلي: الاسم الذي أطلق على أراضي الدولة العثمانية الواقعة في أوروبا، وانتقل إلى اللغة العربية باسم الرومي. للمزيد أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د/ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ / 2000م، ص 129.

⁵ - أحمد صالح علي محمد، "الأفلاق والبغدان في العصر العثماني"، آفاق الثقافة والتراث، ع: 103، 2018م، ص 45-46.

⁶ - Gilles Veinstein, "À propos des transmissions interculturelles: l'Empire ottoman et l'Occident avant l'occidentalisation", Cahiers de la Méditerranée, 2020, P02.

⁷ - سعيد أحمد برجاي، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، د/ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993م، ص 29.

⁸ - Veinstein, op.cit, P02.

⁹ - لويس، المرجع السابق، ص 40.

¹⁰ - Veinstein, op.cit, P03.

¹¹ - أوتفانو بون، سراي السلطان، تر: زيد عيد الرواضية، ط01، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 1435هـ/2014م، ص 11.

¹² - خليل إينجليك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرنؤوط، ط01، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م، ص 51.

¹³ - لويس، المرجع السابق، ص 54.

¹⁴ - Ergin Ergül, "Jean Bodin'in Devlet Teorisi Üzerindeki Osmanlı Etkisi", Gazi Üniversitesi Hukuk Fakültesi Dergisi, 2016, S307.

¹⁵ - الحركة البروتستانتية: هي مجموعة العقائد الكنسية المنبثقة عن حركة الإصلاح الديني في أوروبا، ولغوياً مشتقة من كلمة لاتينية الأصل تعني الاحتجاج أو الاعتراض. والبروتستانتية بخلاف الكاثوليكية وإلى حد ما الأرثوذكسية، لا تشكل كنيسة واحدة ذات سلطة مركزية هرمية بالرغم من وجود العديد من القواسم المشتركة التي توحد بين معظم أطرافها، ومن أبرز مؤسسيها مارتن لوثر وجون كالفن. للمزيد أنظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د.ت.ن، ص 528.

¹⁶ - إينجليك، تاريخ الدولة العثمانية...، المرجع السابق، ص 61.

¹⁷ - Ergin Ergül, "Jean Bodin'in Devlet Teorisi Üzerindeki Osmanlı Etkisi", Gazi Üniversitesi Hukuk Fakültesi Dergisi, 2016, S307.

¹⁸ - Günsel Renda, **The Ottoman Empire and Europe: Cultural Encounters**, Foundation for science technology and civilization, Manchester, United Kingdom, 2016, P 06.

¹⁹ - Ergül, a.g.e, S 311.

²⁰ - بون، المصدر السابق، ص 21.

²¹ - Ergül, a.g.e, S 311.

²² - Nur Yalman, "The Ottomans and the West: Some Thoughts on Mutual Perceptions and Good Government An Essay for Sir Jack Goody", History and Anthropology, Vol. 26, No. 3, 2015, P348.

- ²³ – Hasan Baktır, Kasım Özgen, "**Political Philosophy and Oriental Polemics on the Ottoman Form of Government in 18th Century English Literature**", Temaşa Felsefe Dergisi, 2020, P207.
- ²⁴ – Ceren Öztaşkın, "**The Role of Ottoman Empire in Protestant Reform**", P03.
- ²⁵ – ثريا فاروقي، **الدولة العثمانية والعالم المحيط بها**، تر: حاتم الطحاوي، ط01، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ص 70.
- ²⁶ – شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم، **تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**، د/ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000، ص 32.
- ²⁷ – جلال يحيى، **أوروبا في العصور الحديثة**، د/ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 2002، ص 299.
- ²⁸ – Puran Liu, "**Machiavelli's Influence on the Islamic World**", The 3rd International Conference on Educational Innovation and Philosophical Inquiries, 2002, P33.
- ²⁹ – الجمل، إبراهيم، المرجع السابق، ص 32.
- ³⁰ – Zhang Haokai, "**Machiavelli's Political Thought and Its Inspiration –Text Analysis Based on the Prince**", Advances in Politics and Economics, Vol. 5, No. 1, 2022, P35.
- ³¹ – يحيى، المرجع السابق، ص 300.
- ³² – Haokai, op.cit, P35.
- ³³ – الجمل، إبراهيم، المرجع السابق، ص 33.
- ³⁴ – Haokai, op.cit, P35.
- ³⁵ – الجمل، إبراهيم، المرجع السابق، ص 34.
- ³⁶ – Haokai, op.cit, P35.
- ³⁷ – Yunus Koç, Gökhan Topluk, "**Osmanlı İslami Politik Düşüncesi ve İdari Tecrübesinin Machiavelli Üzerindeki Etkileri**", Liberal Düşünce Dergisi, 2021, S128.
- ³⁸ – نيقولا ميكيا فيلي، الأمير، تر: أكرم مؤمن، د/ط، مكتبة الساعي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص 10.

- 39 - محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة)، ط01، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1983، ص 258.
- 40 - يحيى، المرجع السابق، ص 302.
- 41 - جيل فاينشتاين، الإمبراطورية في عظمتها (القرن السادس عشر)، ضمن: تاريخ الدولة العثمانية، إشراف: روبر مانتران، تر: بشير السباعي، ج01، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م، ص 252.
- 42 - خليل إينالجيك، السلطنة العثمانية وأوروبا - السلطنة العثمانية ومكانتها في التاريخ الأوروبي، تر: إسماعيل كاظم، ط01، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 1441هـ/2020م، ص ص 226-228.
- 43 - محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوروبا الحديث عصر النهضة - الثورة الفرنسية القرون 16-18 ميلادية، ط02، الجامعة المستنصرية، العراق، 2011م، ص 25.
- 44 - ميكيا فيلي، المصدر السابق، ص 33.
- 45 - فاروقي، المرجع السابق، ص 70.
- 46 - Koç, Topluk, a.g.e, S130 .
- 47 - ميكيا فيلي، المصدر السابق، ص 33.
- 48 - Koç, Topluk, a.g.e, S131 .
- 49 - إينالجيك، السلطنة العثمانية وأوروبا ...، المرجع السابق، ص ص 227-228.
- 50 - الدفشمرة: نظام ينص على انتزاع الأطفال المسيحيين من أهلهم في مناطق الروميلي، وإبعادهم عن كل ما يتعلق بحياتهم الاجتماعية الأسرية ومعتقداتهم الدينية، وتنشئتهم نشأة إسلامية ودفعهم بعد ذلك على الانخراط في السلك العسكري أو في الخدمة الإدارية داخل البلاط السلطاني. للمزيد أنظر: سونيا محمد سعيد، فرقة الإنكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية، ابتراك للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 2006، ص 23-24.
- 51 - فاينشتاين، المرجع السابق، ص 255.
- 52 - ميكيا فيلي، الأمير، تع: خليل حنا تدرس، د/ط، مكتبة النافذة، مصر، د، ت، ن، ص 56.
- 53 - إينالجيك، السلطنة العثمانية وأوروبا ...، المرجع السابق، ص 226.
- 54 - أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط03، دار الشروق، القاهرة، 1424هـ/2003م، ص 42.
- 55 - Haokai, op.cit, PP 35-37.
- 56 - ميكيا فيلي، المصدر السابق، ص 25.
- 57 - إينالجيك، السلطنة العثمانية وأوروبا ...، المرجع السابق، ص 227.
- 58 - Koç, Topluk, a.g.e, S 128.

- ⁵⁹ – Noel Malcolm, **Useful Enemies: Islam and The Ottoman Empire in Western Political Thought, 1450–1750**, 1st, Oxford University Press, Oxford, United Kingdom, 2019, PP161–162.
- ⁶⁰ – Koç, Topluk, a.g.e, S 129.
- ⁶¹ – ليلى الصباغ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط03، مطبعة دار الكتاب، دمشق، 1408-1409هـ / 1988-1989م، ص 93.
- ⁶² – ميكيا فيلي، المصدر السابق، ص 186.
- ⁶³ – Ergül, a.g.e, S320.
- ⁶⁴ – Jean Bodin, **Les six livres de la République**, Librairie générale française, Paris, 1993, P268.
- ⁶⁵ – Haokai, op.cit, PP42–43.
- ⁶⁶ – ميكيا فيلي، المصدر السابق، ص ص 115–116.
- ⁶⁷ – Haokai, op.cit, P41.
- ⁶⁸ – ميكيا فيلي، فن الحرب، تر: صالح صابر زغلول، ط01، دار الكتاب العربي، لبنان، 2015، ص ص 63–64.
- ⁶⁹ – إينالجيك، السلطنة العثمانية وأوروبا ...، المرجع السابق، ص 229.
- ⁷⁰ – Haokai, op.cit, P41.
- ⁷¹ – يحيى، المرجع السابق، ص 304.
- ⁷² – جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، تر: ناجي الدراوشة، ج02، ط01، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 2010م، ص 358.
- ⁷³ – Koç, Topluk, a.g.e, SS 129–130 – 139.

8. قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1. بون أوتفيانو، سرائي السلطان، تر: زيد عيد الرواضية، ط01، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 1435هـ / 2014م.
2. لطفي باشا، تواريخ آل عثمان الوقائع التاريخية للدولة العثمانية حتى عام 961هـ / 1553م، تر: محمد عبد العاطي محمد، ط01، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 1440هـ / 2018م.
3. ميكيا فيلي نيقولا، الأمير، تر: أكرم مؤمن، د/ط، مكتبة الساعي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م.

4. ميكيا فيلي نيقولا، الأمير، تع: خليل حنا تدرس، د/ط، مكتبة النافذة، مصر، د، ت، ن.
5. ميكيا فيلي نيقولا، فن الحرب، تر: صالح صابر زغلول، ط01، دار الكتاب العربي، لبنان، 2015.
6. Bodin Jean, **Les six livres de la République**, Librairie générale française, Paris, 1993.

ثانيا: المراجع:

1. الأدهمي محمد مظفر، تاريخ أوروبا الحديث عصر النهضة - الثورة الفرنسية القرون 16-18 ميلادية، ط02، الجامعة المستنصرية، العراق، 2011م.
2. إينجليك خليل، السلطنة العثمانية وأوروبا - السلطنة العثمانية ومكانتها في التاريخ الأوروبي، تر: إسماعيل كاظم، ط01، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 1441هـ/2020م.
3. إينجليك خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرناؤوط، ط01، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م.
4. برجوي سعيد أحمد، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، د/ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993م.
5. توشار جان، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، تر: ناجي الدراوشة، ج02، ط01، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 2010م.
6. الجمل شوقي عطا الله، إبراهيم عبد الله عبد الرازق، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، د/ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000.
7. صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د/ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/2000م.
8. الصباغ ليلي، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط03، مطبعة دار الكتاب، دمشق، 1408-1409هـ/1988-1989م.
9. غربي الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916، ط02، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2011م.
10. فاروقي ثريا، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، تر: حاتم الطحاوي، ط01، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م.

11. فاينشتاين جيل، الإمبراطورية في عظمتها (القرن السادس عشر)، ضمن: تاريخ الدولة العثمانية، إشراف: روبير مانتان، تر: بشير السباعي، ج01، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.
12. الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د.ت.ن.
13. لويس برنارد، إسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، تع: سيد رضوان علي، ط02، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، 1402هـ / 1982م.
14. محمد سعيد سونيا، فرقة الإنكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية، ابتراك للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 2006.
15. مخزوم محمد، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة)، ط01، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1983.
16. مصطفى أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، ط03، دار الشروق، القاهرة، 1424هـ / 2003م.
17. يحي جلال، أوروبا في العصور الحديثة، د/ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 2002.
18. Malcolm Noel, **Useful Enemies : Islam and The Ottoman Empire in Western Political Thought, 1450–1750**, 1st, Oxford University Press, Oxford, United Kingdom, 2019.
19. Renda Gunsell, **The Ottoman Empire and Europe: Cultural Encounters**, Foundation for science technology and civilization, Manchester, United Kingdom, 2016.

المقالات:

1. محمد أحمد صالح علي، "الأفلاق والبغدان في العصر العثماني"، آفاق الثقافة والتراث، ع: 103، 2018م.

2. Baktır Hasan, Özgen Kasım, "**Political Philosophy and Oriental Polemics on the Ottoman Form of Government in 18th Century English Literature**", Temaşa Felsefe Dergisi, 2020.
3. Ergül Ergin, "**Jean Bodin'in Devlet Teorisi Üzerindeki Osmanlı Etkisi** ", Gazi Üniversitesi Hukuk Fakültesi Dergisi, 2016.
4. Haokai Zhang, "**Machiavelli's Political Thought and Its Inspiration –Text Analysis Based on the Prince**", Advances in Politics and Economics, Vol. 5, No. 1, 2022.
5. Koç Yunus, Topluk Gökhan, "**Osmanlı İslami Politik Düşüncesi ve İdari Tecrübesinin Machiavelli Üzerindeki Etkileri**", Liberal Düşünce Dergisi, 2021.
6. Liu Puran, "**Machiavelli's Influence on the Islamic World**", The 3rd International Conference on Educational Innovation and Philosophical Inquiries, 2002.
7. Öztaşkın Ceren, "**The Role of Ottoman Empire in Protestant Reform**".
8. Veinstein Gilles, "**À propos des transmissions interculturelles : l'Empire ottoman et l'Occident avant l'occidentalisation**", Cahiers de la Méditerranée, 2020.
9. Yalman Nur, "**The Ottomans and the West : Some Thoughts on Mutual Perceptions and Good Government An Essay for Sir Jack Goody**", History and Anthropology, Vol. 26, No. 3, 2015 .